شعرية المفارقة المكانية في صورة بلنسية عند ابن الأبَّار البلنسي

The Poetic of Spatial Paradox in the Image of Valencia by Ibn Al-Abbaar Al-Balansi

د. أحمد صالح سالم ركنان
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية
كلية التربية عتق، جامعة شبوة

د. علي أحمد راجح أحمد
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية
كلية التربية عتق، جامعة شبوة

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة شعرية المفارقة عند الشاعر ابن الأبَّار البلنسي؛ بوصفها إحدى الوسائل الفنية، التي مكَّنت الشاعر من رسم صورة لما أصاب مدينته بلنسية من خراب ودمار نتيجة الحصار، ثم السقوط في يد النصارى. كما يستهدف البحث معرفة مدى تفاعل الشاعر مع التحولات المكانية في مدينته، والوقوف على الدوافع التي حدت به إلى توظيف تقنية المفارقة في شعره، وكيف أسهمت هذه التقنية في تجسيد واقعه المَعِيش.

وكان المنهج الوصفي التحليلي الطريق التي مكّنت البحث من استنطاق النصوص؛ للوقوف على أوجه المفارقات المكانية، التي طرأت على النتاج الشعري للشاعر، وتحليل تجلياتها، والتي تمثلت في مبحثين اثنين:

الأول: صورة المكان الوطن. الثاني: صورة المكان المقدس.

الكلمات المفتاحية:
- **ابن الأبَّار**
- **التحول**
- **التناقض**
- **المفارقة**
- **المكان**

ABSTRACT:

This research seeks to study the poetic paradox by the poet Ibn Al-Abbar Al-Balansi as one of the artistic means that enabled the poet to depict an image of the devastation and destruction that befell his city of Valencia as a result of the siege, and then its fall at the hands of the Christians. The research also aims to identify the extent of the poet's interaction with the spatial transformations in his city, and to identify the motives that led him to employ the technique of paradox in his poetry, in addition to how this technique contributed to embodying his lived reality.

The descriptive analytical approach was the means that enabled the research to cross-examine the texts so as to identify the aspects of spatial paradoxes that occurred in the poetic production of the poet and analyzing their manifestations, which were represented in two topics as follows:

The first: The image of the homeland.

The second: The image of the holy place.

Key Words:
- **Ibn Al-Abbar**
- **Transformation**
- **Contradiction**
- **Paradox**
- **place**

مقدمة

تُعد المفارقة من الأساليب الفنية التي سلكها الشعراء في بناء نصوصهم الشعرية، فقد وجد فيها الشعراء وسيلة للتعبير عن التناقضات التي تتصل بواقعهم المعاش، فحس الشاعر بالمفارقة لا يقتصر على رؤية الأضداد ووصفها في إطار المفارقة، بل في التفاعل مع ما يحدث في الواقع، وخلقه بأسلوب المفارقة، فهي تحتاج من الشاعر – إضافة إلى تحديد معالمها والتفاعل معها – قدرة على تجسيدها في نتاجه الشعري.

وقد وجد شعراء الأندلس في صورة المكان الأندلسي بما يتمتع به من حسن وجمال وما أعقبه من خراب ودمار – نتيجة الفتن والنكبات التي لحقت به عند حروب الاسترداد التي قادها النصارى – مادة خصبة لتوظيف أسلوب المفارقة في أشعارهم التي صوروا بها تلك الأماكن والمدن الأندلسية، وكانت مدينة بلنسية[1] من أبرز الأماكن الأندلسية التي أصابها الخراب والدمار، فبكاها الشعراء وعلى رأسهم الشاعر ابن الأبّار البلنسي[2] الذي جعل من تقنية المفارقة وسيلة للتعبير عمَّا حلَّ ببلده. وكان ابن الأبّار قد عايش الكثير من التحولات التي طالت المكان، وهي تحولات سلبية دمرت المعالم الجمالية لمدينته بلنسية، فبدت صورة المكان جريحة أليمة؛ حيث فاحت رائحة القتل والدمار والخراب من تلك الأماكن، بعد أن كانت ترفل في أثواب الحسن والخصب والجمال. هذه الصورة دفعت بالشاعر إلى رسمها بالعديد من النصوص الشعرية الحافلة بالمفارقات والمقابلات، ورصدت التحولات المفارقية التي طرأت على تلك الأماكن، والأثر الاجتماعي والديني لهذه التحولات "فقد تكون المفارقة أشبه بستار رقيق يشف عمّا وراءه من هزيمة الإنسان"[3].

ولأن المفارقة تشكل ملمحًا واضحًا في شعر ابن الأبّار في المكان البلنسي؛ كان اختيار البحث لهذا العنوان. والذي يهدف من خلاله إلى بيان توظيف ابن الأبّار تقنية المفارقة في شعره في المكان، وكيف أسهمت هذه التقنية في تجسيد واقعه المعاش. وكان المنهج الوصفي التحليلي الطريق التي مكّنت البحث من استنطاق النصوص للوقوف على أوجه المفارقات المكانية التي طرأت على النتاج الشعري للشاعر وتحليل تجلياتها.

وفي هذه الأسطر سيحاول البحث رصد صور المكان (بلنسية) المشكلة للمفارقة في شعر ابن الأبّار البلنسي. والتي تمثلت في مدخل عن مفهوم المفارقة يليه مبحثان:

الأول: صورة المكان الوطن.

الثاني: صورة المكان المقدس.

مدخل

للمفارقة أهمية بالغة في عملية الخلق الشعري، فهي تخلق توتّراً دلاليًا في القصيدة بما تمثله من أوجه التناقض والتضاد في علاقات وأشياء يجب أن تكون متوافقة، ولهذا تتصل بالدهشة، والألم، والإحساس بالفجيعة، والمأساة، و "بالمفارقة تتحقق أعلى درجات التوتر في القصيدة، وبها نبلغ الحقيقة ونصل الى لذة النص ودهشته"[4]. فعُدَّت عند البعض "من الصفات المميزة للشعر الرفيع"[5].

ولم يدخل مفهوم المفارقة بوصفها أسلوبًا أدبيًا استخدمه الشعراء والكتاب في الاستعمال الأدبي إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عند النقاد الغربيين، ثم ظهر مؤخرًا لدى النقاد العرب من خلال ترجمة عبد الواحد لؤلؤة لكتابَي دي سي. ميويك (المفارقة) و (المفارقة وصفاتها). ويُعد الفيلسوف الألماني (فردريك شليجل) (1772 – 1829م) أول من استخدم مصطلح المفارقة بمفهومها النقدي الحديث كما اكتسبت عنده مفاهيمَ جديدة إلى جانب معانيها القديمة، فلم يَعُد مفهوم المفارقة يقتصر على نوع المفارقة اللفظية ذات التعريفات البلاغية القديمة كـ (التهكم، والسخرية)، وإنما اتسع ليشمل نوعين من المفارقات: المفارقة اللفظية والتي تعني انقلاباً في الدلالة، ومفارقة الأحداث[6]. وتُعرَّف مفارقة الأحداث بأنها "انقلاب يحدث مع مرور الزمن"[7]. وقد كشفت الكثير من الدراسات التي تناولت مفهوم المفارقة عن العديد من أنماط المفارقة منها: (المفارقة اللفظية، والمفارقة الرومنسية، ومفارقة الأحداث وغيرها)، وقد حظيت مفارقة التحولات باهتمام الباحثين في أسلوب المفارقة عند الشعراء، وقد أسماها أحدهم (مفارقة الأدوار) وتعني عنده التحول في الدور من حالة الإيجاب إلى حالة السلب أو العكس[8].

وقد تعمّقت النظرة للمفارقة بتقدم الدراسات النقدية الحديثة التي أولت المتلقي اهتمامًا كبيرًا. فوجدت المفارقة لها مكانًا رحبًا في الأسلوبية، والشعرية، ونقد استجابة القارئ، ونظرية التلقي والاتصال، وذلك تحت مسميات مختلفة، كالمفاجأة، والتوقع الخائب أو الانتظار المحبط[9]، والفجوة، ومسافة التوتر[10]، وأفق التوقع[11] وغيرها.

ولأن المفارقة – بوصفها ممارسة أدبية – تمتد إلى عصور الأدب الأولى، فقد استعصى على الأدباء والنقاد وضع تعريف واحد يجمع مفاهيم النقاد لها، أو يضم أنواعها ودرجاتها، فضلاً عن أثرها في العمل الأدبي[12]. وقد تنبه ميويك لهذه الظاهرة فبيّن "أنها لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة، ولا تعني في قطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر، ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر"[13]. لذلك دعا ميويك إلى حرية الباحث في وضعه للتعريف الذي يتلاءم مع طبيعة بحثه قائلاً: " ففي مسألة التعريف إذن، لن أصر (إلا عندما أنسى) أن على كل امرئ أن يضبط ساعته على ساعتي"[14]. وقد ارتأى هذا البحث أن يحدد رؤيته للمفارقة بتعريف سعيد جمعة – بتصرف يسير – إذا عرفها بأنها: التعارض والتضاد أو المسافة بين

ما هو كائن من المعاني وبين ما ينبغي أو ما يُرجى أن يكون، أو المسافة بين المتوقع وغير المتوقع [15]. وهي رؤية تشمل ما وجده البحث من مفارقات عند الشاعر ابن الأبّار البلنسي في تصويره لمأساة مدينته بلنسية.

المبحث الأول

صورة المكان الوطن

إن توظيفات المكان وتحولاته في أي نتاج شعري لا تكون مثمرة ما لم يفعّل الشاعر المكان لنقل الرؤية الشعرية، ويربطها بالموقف أو الحدث الشعري، "وإن أهم ما يميز شعرية المكان أو توظيف المكان شعريًا أنه يقع بين زاويتين، هما زاوية التشكيل الشعري وزاوية التأويل، وضمن الزاوية الأولى تتشكل الرؤية المكانية وفقًا لرؤية شعرية غالبًا ما يتحكم فيها الخيال، ليمنحها بعدًا تأثيريًا جماليًا، وضمن الزاوية الثانية يكون لأحاسيس المتلقي، ورؤيته الذوقية، وأسسه النقدية أثر في صياغة تجربة الشاعر، وبهذا يكون المكان المدمج في بنية القصيدة منفتحًا على عالم التخييل عند المتلقي"[16]. وتتنوع أسباب التحول عن المكان ومفارقته، سواءً أكان هذا التحول والفراق جسديًا أم معنويًا، فـ "ثمة مكان يعيش فيه الشاعر يتمثل في الوطن، لكن هذا المكان قد يلفظه لأسباب اجتماعية أو سياسية، فيكون للشاعر أحد موقفين: الحنين للمكان، فيعيش هذا المكان في داخله، ويتوهج توهج الجمرة، والرفض للمكان فيعيش فيه بجسده، لكنه يقرر الانفصال عنه، واتخاذ موقف سلبي منه"[17].

وتشف النصوص الشعرية المكانية عند الشاعر ابن الأبّار البلنسي عن فاعلية التعامل بينه وبين المكان، المتمثل في وطنه ومدينته بلنسية، فالمكان عند ابن الأبّار بؤرة تجمع النقيضين – بحسب رؤيته النفسية –؛ إذ إنه يشير تارة إلى تعلق الذات بالمكان وتأنسها به، ويشير تارة أخرى إلى تألم الذات منه وحزنها عليه، وبين هذين المكانين المتناقضين تفضي الذات بإسقاطاتها النفسية أكانت إيجابية أم سلبية. فلما حوصرت بلنسية استعطف ابن الأبّار البلنسي السلطان أبا زكريا ابن أبي حفص أحد ملوك الدولة الحفصية بتونس، واستنفره بقصيدة صور فيها المأساة التي حلّت بأهل بلنسية نتيجة الحصار، يقول[18]:

[البسيط]

أَدرِكْ بِخَيلِكَ خيلِ اللهِ أندَلُسا ... إنَّ السَّبيلَ إلى منجاتِها دَرَسا
وهَب لها من عزيزِ النَّصرِ ما التَمَسَت ... فَلَم يَزَل منكَ عزُّ النصر ملتَمَسا
يا للجَزيرةِ أضحى أَهلُها جَزَراً ... للحادِثاتِ وأمسى جَدُّها تَعَسَا
في كُلِّ شارِقةٍ إلمامُ بائقةٍ ... يَعودُ مأتَمُها عندَ العِدى عُرُسا
وكُلِّ غاربةٍ إجحافُ نائبةٍ ... تَثني الأمانَ حِذارًا والسُّرورَ أسَى

يكشف هذا النص عن تحولات مأساوية في الحياة الاجتماعية لأهل بلنسية نتيجة الحصار الذي فرضه عليهم النصارى، نتج عن تلك التحولات عدد من المفارقات، والتي استهلها الشاعر بقوله: (أدرك)؛ ليحث الملك الحفصي على السرعة والتعجيل في إنقاذ بلنسية، بَيْدَ أنه ما لبث أن خرق أفق توقع المتلقي وثبّطه بزعمه تقادم العهد لنجاتها وانتهاء الأمل في إنقاذها (إن السبيل إلى منجاتها درسا)، ثم يعيد الأمل للمتلقي فالخطب لم يقع بعد، ومازال النصر ملتمساً من الملك الحفصي، وهذا التناقض الذي بدا فيه الشاعر بين الأمل واليأس يفسر الواقع المضطرب في هذا العصر، ولربما جاء تنقل الشاعر بين الرجاء واليأس للمبالغة في مدح الملك أبي زكريا، وكأنه يقول باستحالة نجاة بلنسية وإنقاذها إلا منك دون سواك من ملوك الأندلس والمغرب.

إن هذا الحصار انعكس على الحياة الاجتماعية في مدينة بلنسية، فتحولت إلى حياة معاناة وآلام، لذلك يأتي النداء لغرض التحسر من الواقع المأساوي، الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي عامة وأهل بلنسية خاصة، فقد أصبحوا جَزراً لسيوف النصارى، وأمسى حظهم تعساً.

ثم يستعرض الشاعر المآسي والتحولات المفارقية في هذه المدينة، فمنذ الحصار وهم يستيقظون كل صباح على داهية وبلية تنزل بهم، ويناموان على النوائب والمصائب، ويعيشون في إثر ذلك مآسيَ اجتماعية، حتى أصبحت حياتهم عبارة عن مآتم وأحزان بعد أن كانوا يعيشون على الأفراح والمسرات آمنين مطمئنين في بيوتهم، ولتصوير عمق المفارقة عَمَد الشاعر إلى رسم صورة مقابلة لواقع المسلمين حيث صور النصارى وهم في سعادة ومرح بهذا الحال، فالمآتم عند المسلمين أضحت أعراساً عند الأعداء، هذا التحول المفارقي تجلى في "فاعلية الإيقاع في الطباقات المتلاحقة، بين المأتم/ عرس، الأمان/ حذار، السرور/ أسى، شارقة/ غاربة، وهي طباقات استحالت بوقعها ودلالتها السلبية إلى نشيج حزين يكشف عن معاناة نفسية بالغة التعقيد"[19]. ومع هذه التحولات تبدّل الأمان إلى قلق وتوجّس، وتحول السرور إلى حزن وأسى. هذه الأحوال التي اجتاحت مدينة بلنسية قد تركت أثرها في نفوس الشعراء، فأطلقوا صيحات الاستنجاد والألم والبكاء، وتعددت جوانب هذا الخطاب الذي يبث ما عصف بمدينتهم، يخاطبون أنفسهم ومدنهم وملوكهم، محاولين تسويغ ما حصل، وذاهلين عمّا وقع، فبدت المفارقة واضحة في صورة بلنسية قبل الخطب وبعده[20].

وفي موطن آخر في سينيته التي استغاث فيها أبا زكريا ابن أبي حفص، يستعين ابن الأبّار بأسلوب المفارقة المكانية؛ لتصوير ماحل بمدينته بلنسية من خراب ودمار، يقول مصورًا عِظم المأساة التي حلّت بأهل بلنسية نتيجة الحصار [21]:

[البسيط]

يــا للجَزيــرةِ أضــحى أَهلُهــا جَــزَراً ... للحادِثــاتِ وأمســى جَــدُّها تَعَســا
وَفِــي بَلَنْسِــيَةٍ مِنهَــا وَقُرْطُبَــةٍ ... مَـا يَنْسِـفُ الّنفَس أَو مَـا يَنـزِفُ النَّفَسَا
مَــدَائِنٌ حَلَّهَــا الإِشــرَاكُ مُبْتَسِــمَاً ... جَــذْلَانَ، وارْتَحَــلَ الإِيمَــانُ مُبْتَئِسَــا

وَصَـــيَّرَتهَا العَـــوَادِي العَابِثَـــاتُ بِهَـــا يَسْتَوحِشُ الطَّرفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أَنِسَا

أبانت هذه الأبيات عن تحول في المكان من حال إلى حال مناقض ومضاد، أحسّ معه الشاعر بالفاجعة والمصيبة، فيستعمل النداء للتحسر على حال الأندلس الماضي، والتفجع من الحال الذي وصلت إليه، ويأتي الفعلان (أضحى، وأمسى) وما بعدهما للكشف عن التحول وماهيته؛ إذ نقل التحول صورة مأساوية للمكان الأندلسي (بلنسية، وقرطبة) – الأولى أصبحت محاصرة بجيوش النصارى، والثانية سقطت في أيديهم سنة 633هـ – تبعث على الأسى والحزن والانكسار في النفوس، وهو ما عبر عنه النغم المتناسق في قوله: (ينسف النفس، وينزف النفسا). والشاعر في هذا البيت (الثاني) يشدُّ انتباه المتلقي لمعرفة التحولات الباعثة على الحزن العميق، وشدة الانكسار والخنوع، فيأتي البيت الثالث ليكشف عن هذه التحولات فيبرز الشرك – مجسماً بأهله – وهو يحتل هذه المدن فرحاً مستبشراً بسقوطها، سعيداً باحتلالها وعودتها إلى أحضان قوى الشرك والضلال، وفي المقابل يجسم الإيمان ويصوره وهو يجر أذيال الهزيمة، فيعلوه البؤس والحزن على فقد هذا المكان وفراقه. ويأتي استعمال الشاعر للألفاظ الدينية (الإيمان، والشرك) لبيان عمق المفارقة وحدّتها، فالأمر ليس مجرد أماكن سقطت وتحولت من أيدي العرب إلى أيدي الروم، بل هو أكبر من ذلك، إنه دين تحول – بتحول المكان – من الإسلام إلى الشرك، وهنا تبتعد المفارقة عن الجانب الحسي للمكان إلى الجانب المعنوي فمن أظهر صور المفارقة في أبعادها الدلالية والإيقاعية ما أتى به الشاعر في هذا التحول من إبراز المساس بالجانب الديني ففي اللفظتين المتضادتين مبتسمًا/ ومبتئسًا، وجهًا إيقاعيًا مفارقيًا تمثل في الموازنة بين بنيتهما توازنًا قوى من إيقاعهما، وبثَّ من خلالهما صوتًا استصراخيًا مدويًا[22]. ويطالعنا الشاعر في البيت الرابع بمفارقة تحولية مكانية، تتمثل في التحول في مظاهر المكان المحتل والمحاصر؛ إذ تحول هذا المكان من مكان تأنس به النفوس وتستمتع به وتطمئن إليه، إلى مكان موحش مخيف بعد أن طالته يد العدو بالعبث والخراب، ولفظة (العابثات) تفصح عن شدة الخراب والدمار اللذين لحقا بهذه الأماكن.

ويطال الدمار والخراب مظاهر الطبيعة الجمالية التي كان يتمتع بها المكان الأندلسي، لتضحى في صورة مغايرة لما عُرفت به جمال وبهاء يقول[23]:

[البسيط]

وأَربُعًـا نَمْنَمَـتْ أَيـدِي الرَّبِيـعِ لَهَـا ما شِئت مِن خِلَعٍ مَوشِيَّةٍ وَكُسَى
كَانَـتْ حَـدَائِقَ لِلأَحْـدَاقِ مُؤنِقَـةً فَصَـوَّحَ النَّضْـرُ مِـنْ أَدْوَاحِهَـا وَعَسَـا
وَحَـالَ مَـا حَولَهَـا مِـنْ مَنْظَـرٍ عَجَـبٍ يَسْتَجْلِسُ الرَّكْبَ أَو يَسْتَرْكِبُ الجُلُسَا
سُرْعَانَ مَا عَاثَ جَيشُ الكُفْرِ وَاحرَبا عَيْـثُ الـدَّبَى فِـي مَغَانِيْهَـا التِـي كَبَسَـا
وَابْتَـــزَّ بِزَّتَهَـــا مِمَّـــا تَحَيَّفَهَـــا تَحَيُّـفَ الأَسَـدِ الضَّـارِي لِمَـا افْتَرَسَـا

فَـأَينَ عَـيشٌ جَنَينَـاهُ بِهَـا خَضِـرَاً وَأَيـنَ غُصـنٌ جَنَينَـاهُ بِهَـا سَلِسَـا
مَحَـا مَحَاسِـنَهَا طَـاغٍ أُتِـيحَ لَهَـا مَـا نَـامَ عَـنْ هَضْـمِهَا حِينَـاً وَلَا نَعِسَـا
وَرَجَّ أَرْجَاءَهَـا لَمَّـا أَحَـاطَ بِهَـا فَغَـادَرَ الشُّـمَّ مِـن أَعْلَامِهَـا خُنُسَـا
خَـلَا لَـهُ الجَـوُّ فامْتَـدَّتْ يَـدَاهُ إِلَـى إِدْرَاكَ مَـا لَـمْ تَطَـأْ رِجـلَاهُ مُخْتَلِسَـا

يقف الشاعر عند مرابع بلده ومواطنه الجميلة وقد حل الربيع بها فيصورها في منظر بهيج وهي تكتسي بأجمل الحلل وتتوشى بأنواع الزهر، ففي الربيع " يتزين وجه الأرض، وتغمر أهلها السعادة والانشراح، إذ تكتسي الأرض بمقدمه حلة بديعة من الزينة الأنيقة، وتتلفع بمعطف بديع من الخضرة الندية الساحرة فتتفتق الأزهار والورود، وتلتف الأشجار"[24]. بيد أن هذا المنظر الجمالي للمكان الأندلسي بمجرد سقوطه بيد الأعداء تحول تحولاً مفارقياً، فأصبحت مظاهر طبيعته النباتية الجميلة يابسة بعد خضرة، جافة بعد رِيّ.

ولإبراز عمق المفارقة عَمَد الشاعر إلى رسم صورة جمالية لطبيعة بلده، فجعلها مثار إعجاب ودهشة للناظرين، حتى أن الراكب أو الجالس في غير ما شعور يجد نفسه في حال مغاير لحاله؛ لشدة انبهاره بجمال هذه المناظر. إن هذا التصوير الجمالي للمكان يكشف عن عِظم منزلته في نفوس أهله، ومن ثَمَّ يشكل فقده مفارقة حادّة، وتناقضاً صارخاً، لا سيما وأنه تحول إلى حال مناقض ومضاد لحاله المعهود، فصوره وجيوش الكفر تقتحمه، وتأتي على كل جميل فيه، وتعيث فيه خراباً عيث الجراد الذي يلتهم الزرع ويأكل الأخضر واليابس. ويبدو أن الشاعر لم يرَ في صورة الجراد وهو يأكل الزرع ما يعبر عن حقيقة الحال المأساوي، الذي وصل إليه المكان الأندلسي، فعمد إلى صورة مفارقية أخرى، تكشف عن الفضاضة والوحشية، التي مُنيت بها طبيعة بلده؛ إذ جيوش الكفر تأتي على جنبات ربوع بلاده الجميلة، فتلتهمها وتغير ملامحها، وتبدل هيئتها بفضاضة الأُسد، وهي تقضي على فريستها. فالمكان هنا "أصبح معزولاً عن شرطه الإنساني، ذلك أنه لم يعد سوى بقايا آثار، لم تندرس بعد بشكل كلي، ولكن أهميتها تأتي بما تثيره لدى الشاعر، ثم لدى المتلقي من ذكرى إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدريج لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء"[25].

وفي البيت السادس يستعين الشاعر بالاستفهام التشويقي ليكشف من خلاله عمق المفارقة وشدة التناقض بين ما كانت تمتاز به بلده من رغد العيش وجمال الحياة، وما آلت إليه بعد أن استباحت الأعداء ساحتها وعاثت فيها خراباً، ومحت ملامحها الجميلة، واستضعفت أهلها. وتأتي الأفعال (محا، ورجّ) لتكشف عن شناعة فعل العدو بهذه البلاد وهو يمحو جمالها، ويزلزل أركانها. ويطال التحول المنزلة والمكانة التي تتمتع بها الأندلس فتتبدل مواطن العزة والشموخ فيها بالخنوع والخضوع، بل تصل يد العدو إلى أماكن كان في ما مضى لا يمتلك الجرأة أن يمر فيها ولو اختلاساً وخفية. وكذا نجد الشاعر في قصيدته هذه يقف عند الكثير من التحولات المفارقية التي طالت المكان في قدسيته، وهيئته، وجماله، ومكانته.

بيد أن ابن الأبّار لم يفلح في تحقيق مرامه من نداء الاستغاثة، ولم يستطع الملك الحفصي فك الحصار عن بلنسية، فسقطت في أيدي النصارى سنة 636هـ، وعندها يبعث ابن الأبّار قصيدة أخرى إلى الملك الحفصي، لكنه في هذه المرة يستغيثه باسم الأندلس لينقذها من براثن الأعداء، ويرثي مدينته بلنسية، وقد زخرت هذه القصيدة بعدد من المفارقات التحولية المكانية، التي أبانت عن شدّة المعاناة التي تعيشها بلده (بلنسية) بعد سقوطها في يد الأعداء، فيقول[26]:

[الكامل]

إيــهٍ بَلَنْسِــيَةٌ وَفِــي ذِكْــرَاكِ مَــا ... يَمْــرِي الشُّــؤونَ دِمَاءَهَــا لَا مَاءَهَــا

كَيـفَ السَّـبِيلُ إلـى احـتِلَالِ مَعَاهِـدٍ ... شَــبَّ الأَعَــاجِمُ دُونَهَــا هَيْجَاءَهَــا

وإلـى رُبَـىً وأَبَـاطِحٍ لَـمْ تَعْـرَ مِـنْ ... خِلَــعِ الرَّبِيــعِ مصــيفَهَا وشِــتَاءَهَا

طَـاَب المُعَـرِّسُ والمَقِيـلُ خِلالَهَـا ... وَتَطَلَّعَــتْ غُــرَرُ الْمَنــى أَثْنَاءَهَــا

وَمَصَـانِعٌ كَسَـفَ الضَّـلَالُ صَـبَاحَهَا ... فَيَخَالُــهُ الرَّائِــي إِلَيْــهِ مَسَــاءَهَا

راحَـتْ بِهَـا الوَرْقَـاءُ تُسـمِعُ شَـدْوَهَا ... وَغَــدَتْ تُرَجِّــعُ نَوحَهَــا وَبكَاءَهَــا

عَجَبَـاً لِأهــلِ النَّــارِ حَلّــوا جَنَّــةً ... مِنهــا تَمُــدُّ علــيهمُ أفياءَهَــا

تكشف لفظة (إيه) المنبعثة من أعماق الشاعر عن مأساة شديدة يعيشها بعد أن فُجع بفقد بلنسية، وتهزه إليها ذكرياته الجميلة، فيجري الدمع على خديه دماً، حزناً وفَرَقاً على هذه المدينة التي لم يبقَ منها لدى الشاعر سوى الذكريات. يتحول المكان (بلنسية) من دار للشاعر وموطن لأنسه ومرحه، إلى دار يستحيل الوصول إليها والاستمتاع بجمالها، ومن دار للإسلام، إلى وطن للنصارى فـ "التضاد بين الإنسان بآماله ومخاوفه ورغباته وأفعاله وبين مصير مظلم لا يلين يقدم مجالاً واسعاً لعرض المفارقة المأساوية"[27].

ولشدة الفاجعة وهول النكبة يخيّم الظلام على مباني هذه المدينة الجميلة، حتى أنها لتبدو للرائي في وضح النهار – في تحول مفارقي – مظلمة مسودة. ويتحول وقع صوت الحمام على نفس الشاعر بالتحول المفارقي لهذه المدينة، فما بين الرواح والغدو يتحول هذا الصوت الشجي من غناء يطرب الأسماع إلى نواح يفطر القلوب. وتأتي لفظة (عجباً) لتوحي بدهشة الشاعر ووعيه بعمق المفارقة التي تعيشها بلده (بلنسية)، فمن بين ما هو حادث فعلاً احتلال النصارى (أهل النار) لبلنسية التي شبهها الشاعر بالجنة، وما يُرجى حدوثه عودتها للمسلمين تُنتج المفارقة المكانية.

ويقول واصفًا بلنسية[28]:

[الطويل]

بَلَنسِيَّةٌ يا عَذبَةَ الماء والجَنَى سُقيتِ وإن أشقَيت صَوبَ الرَّواجِسِ
أُحِبُّ وأَقلَى مِنكِ حَالًا وماضِيًا بِمُوحِشَةٍ أَلوَتْ بِعَهدِ الأَوانِسِ
ومِن عَجَبٍ أنَّ الدِّيارَ أَواهِلٌ وأَندُبُهَا نَدبَ الطُّلُولِ الدَّوارِسِ

ينتاب الشاعر شعور متناقض وهو ينظر إلى مدينته وقد حوت بين جنباتها المتناقضات، ويتولد لديه شعور مختلط، فيجمع بين إحساسين متناقضين: (الحب) و (القلى) يحب منها ماضيًا (عهد الأوانس)، ويكره الزمن الحاضر (موحشة موتى) إنه تناقض ليس كالتناقض الذي يهدم القصيدة ويفككها، إنما هو التناقض الذي يزيد القصيدة تماسكًا، التناقض الذي يغني، لأنه يولد الغرابة والمفارقة، ويكثف التجربة تكثيفًا عميقًا ومركزًا، وهذا غاية الإيجاز والإيحاء والشعرية[29]. فالشاعر يعيش حالة ذهول وهو يرى مرتع أنسه وموطن لهوه بالأمس قد صار مثار وحشته وغربته اليوم، لقد كان الشاعر على وعي بالمفارقة التي هو واقع فيها، لذلك يعجب من نفسه وهو يندب ديارًا آهلة بسكانها كما يندب الشعراء الأطلال المندثرة، ولكن لا غرو في ذلك إنه اندثار المعنى، وغياب من تأنس لهم النفس. رغم هذا التناقض بين الماضي والحاضر لكن ذات الشاعر ظلت وفية لبلدته التي جرعتها الشقاء بعد الهناء، فهو يظل يدعو لها بالسقيا. وهذا يعني أن الشاعر مضطر إلى أن يعيش لحظة الصراع بين ما يريد والواقع الحقيقي، فهو يريد أن يظل المكان سليمًا عامرًا بالحياة ولكن الواقع يقول غير ذلك[30].

ويبكي ابن الأبّار في قصيدة نونية وطنه بلنسية مستعينًا بأسلوب المفارقة في إبراز صوره المأساوية الناجمة عن هذا الحدث الأليم، فيقول[31]:

[البسيط]

وَطِّنْ على الدَّائبَيْنِ: الدَّمعِ والشَّجَنِ يا نادِبَ الذَّاهِبَينِ: الأَهلِ والوَطَنِ
واسكُنْ إلى الصَّبرِ في إلمَامِهَا نُوَبَا أَودَتْ على عَقِبِ المَسكونِ بالسَّكَنِ
كَزَعزَعِ الرِّيحِ صَكَّ الدَّوحَ عاصِفُهَا فلَمْ يَدَعْ من جَنًى فيهِ ولا غُصُنِ
ومُكرَهٌ أنا فيمَا قلتُ لا بَطَلٌ فَلَا تَخَلنِي خَلِيًّا مِن جَوَى الحَزَنِ
هذا فُؤادِيَ كالبَرقِ الخُفُوقِ أَسًى وهذهِ أَدمَعِي كالعَارِضِ الهَتِنِ

استهل الشاعر نصه بالدعوة إلى التحلي بالصبر وتوطين النفس على الواقع المر الذي آل إليه حال أهل بلنسية عند سقوطها، وما نتج عنه من مآس وأحزان، فقد فيها المرء البلنسي أغلى ما لديه (أهله، ووطنه). ويأتي صدر البيت الثاني امتدادًا للبيت الأول (الحث على التحلي بالصبر)، ثم تتجلى مفارقة التحول المأساوي والتي برزت في عبارة: (أودت على عقب) بما تحويه من دلالات عميقة تشي بشدّة التحول. وتأتي الصورة

التشبيهية في البيت الثالث لتؤكد عمق التحول المفارقي الذي أتى على كل شيء جميل في بلنسية، فتركها يبابًا خرابًا. ويوظف المثل (مكره أخاك لا بطل) ليفصح عن شمولية المأساة.

ثم ينتقل ابن الأبّار في نصه مصورًا العدو وهو ينقضُّ على بلنسية بعدته وعتاده، فتتهاوى أرجاؤها وتسقط في يده[32]:

[البسيط]

يـــا قاتَـــلَ الله أقتَـــالًا سواسِـــيَةً	أنَّـــى لهـــم دَرَكَ الأَوتـــارِ والإحَـــنِ
حـامُوا علـى شِـرعَةٍ عَـزَّتْ حِمَايَتُهَـا	مِـن شِـرعَةٍ طالَمَـا عَـزَّتْ فَلَـم تَهُـنِ
زُرقًـا أَسِـنَّتَهُم مِـن جِـنسِ أعيُـنِهِم	مُشـتَقَّةً مِـن قِتـالِ الفَـرضِ والسُّـنَنِ
قَـد أَلبَسـوا خيلَهُم أمثَـالَ مَـا ادَّرعُـوا	واسـتَقبَلونَا حُصُـونًا فـي ذَرَى حُصُـنِ
هُـمْ أَخرَجُونَـا مِـنَ الأَوطَـانِ عَـن حَنَـقٍ	وَزَحزَحُونَـا عَـنِ الجيـرانِ مِـن ضَـغَنِ
فَكَـم لقينَـا علـى الأمصـارِ مِـن فَنَـدٍ	وَكَـم تَرَكنـا لَـدَى الكُفَّـارِ مِـن فَـدَنِ
واهًـا وآهًـا يمـوتُ الصـبرُ بَينَهُمـا	مـوتَ المَحَامِـدِ بَـينَ البُخـلِ والجُـبُنِ
لِجِيـرَةٍ أَصـبَحُوا أَيـدي سَـبَا شِـيَعًا	هـذا ومَـا عَرَّسـوا فـي عَرصَـةِ الـيَمَنِ
وجَنَّـةٍ حَـلَّ أَهـلُ النَّـارِ سـاحَتَهَا	لَـم يُغنِ حَملُ القَنَـا عَنهَـا ولا الجُنَنِ
أُتِـيحَ للـرُّومِ مـا وَفَّـى مَـرامِيَهُمْ	فِيهَـا وبؤنـا بِطُـولِ الغَـبْنِ والغَـبَنِ

استعان الشاعر في هذه الأبيات بأسلوب المفارقة ليفصح من خلاله عن الحال المأساوي لأهل بلنسية بعد سقوطها في يد النصارى، فها هو ذا يستخدم في البيت الثاني الفعل (عزَّت) مرتين، ولكل من هذين الاستخدامين دلالة تتناقض تناقضًا صارخًا مع دلالة الآخر، ففي صدر البيت ورد الفعل (عزَّت) للدلالة على صعوبة حماية بلنسية واستحالتها، وهو ما يوحي بحالة الضعف والوهن التي وصلت إليها هذه البلد. أما في عجز البيت فقد جاء الفعل (عزَّت) للدلالة على العظمة والقوة. كما تجلت مفارقة التحول المكاني في عدد من التعابير الواردة في أثناء النص كقول الشاعر: (أخرجونا عن الأوطان) و(زحزحونا عن الجيران).

ويكشف الجناس بين لفظتي (فند، وفدن) عن مفارقة لفظية توحي بالألم من واقع الحال، المتسم بالعجز والضعف وخطأ الرأي، ومن الحسرة على ما تركوا في أيدي الكفار من قصور مشيدة.

ويقتبس الشاعر من النص القرآني قصة قوم سبأ وما حدث لهم من تحول مفارقي مكاني، ويسقطها على قومه وهو يرى بلدهم تُدمر ويهجرون منها شيعًا.

وتبرز المفارقة مرة أخرى في استباحة النصارى (أهل النار) حد تعبير الشاعر للأندلس جنة الله في أرضه، وفي استخدام الشاعر لهذا التعبير (أهل النار) دلالة في التناقض الصارخ بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. فما كان لأهل النار أن يسكنوا الجنة.

ثم يختم الشاعر نصه هذا ببكاء مواطن أنسه، ومراتع لهوه في صباه في إشارة صريحة إلى ما أصابها من خراب أحال حالها إلى حال مضاد على ما كانت عليه فيقول[33]:

[البسيط]

وَجدي بِهَا وبِعَيشٍ في حدائِقِهَا ... وَجدَ الذِي أَرِقَتْ عَينَاهُ بالوَسَنِ
أيَّامَ نَسحَبُ أَبْرَادًا وأرْدِيَةً ... مِنَ العَفَافِ مَصُونَاتٍ عَنِ الدَّرَنِ
كأنَّ ما كانَ فيها مِنْ مُجَالَسَةٍ ... وَمِنْ مُؤانَسَةٍ في الصَّحبِ لَم يَكُنِ

ويقول ابن الأبّار البلنسي نادبًا مدينته بلنسية مستعينًا بأسلوب المفارقة[34]:

[الكامل]

مَلَكَتْ جَوارِحَهُ عَلَيهِ جِرَاحُهُ ... فَشِفَاؤُهُ لَا يُرتَجَى وَسَرَاحُهُ
عَارٍ لأَبْكَارِ الخُطُوبِ وَعُونِهَا ... غِيضَتْ مَوَارِدُهُ وَهِيضَ جَنَاحُهُ
لَم يَعتَرِضهُ مساؤُهُ بِمَسَاءَةٍ ... إلَّا وضاعَفها عليهِ صباحُهُ
وَحَدِيثُهُ كَمَدٌ عَنِ الأُفْقِ الذي ... تَصِفُ الجَنَانَ تِلاُلُهُ وبِطاحُهُ
تَجري حَثِيثًا تَحتَهُ أَنهَارُهُ ... وَتَمِيسُ لِينًا فوقَهُ أَدواحُهُ
قَدْ أُسلِمَ الإسلامُ فيهِ إلى العِدَى ... فَأَسَاهُ بَرحٌ لا يُتاحُ بَرَاحُهُ
لمَّا تَحَجَّبَ في النَّوَى مَنصُورُهُ ... أَنْحَى عليهِ بِسَيفِهِ سَفَّاحُهُ

يكشف الشاعر عن ذات مثقلة أنهكتها الخطوب، وتجاذبتها المصائب بعد سقوط بلنسية؛ فغارت الجراح واستمكنت من الجوارح لتعدم الحيلة أمام هذا المصاب (فشفاؤه لا يرتجى وسراحه)، وتأتي جملة: (غيضت موارده وهيض جناحه) لتكشف عن تحول مفارقي من حياة الدعة والعزة إلى الشقاء والهوان، ليجد نفسه يمسي على خطب ويصبح على بؤس أشد.

لقد كان ابن الأبّار مدركًا لحجم المفارقة التي هو فيها، والتناقض المؤلم بين ما كان عليه وما صار إليه من حال مأساوي، تجلى ذلك الإدراك في حزنه وهو يتحدث عن الحال الذي كان يعيشه في بلنسية قبل سقوطها في طبيعتها الجميلة حيث الجنان والتلاع والبطاح، حيث الأنهار الجارية والغصون المائسة، والتي صارت إلى دمار وخراب، بل تمتد المفارقة إلى ما هو أنكى من ذلك إلى الإسلام الذي نعي هناك وبُدِّل بالكفر والضلال.

ويختم النص باستحضار الماضي ليعلل حدوث هذا التحول المفارقي الذي أصاب ديار الإسلام هناك والذي عزاه لغياب المنصور[35] ومن يحذو حذوه.

المبحث الثاني

صورة المكان المقدس

وقف ابن الأبّار البلنسي عند التحولات المفارقية للمكان المقدس، والواقع الديني في هذه المدينة، فبلنسية بعد أن كانت بلدًا إسلاميًا أضحت بلاد كفر، فألغيت المقدسات الإسلامية، وبُدلت إلى أماكن لعبادات تتناقض وتتباين مع الدين الإسلامي، حيث حُولت المساجد إلى كنائس، ورُفع فوق مناراتها صوت الأجراس بدلاً من شعيرة الأذان.

يقول مصورًا التحولية المفارقية التي طالت المكان المقدس[36]:

[البسيط]

يَـا لِلمَسَـاجِدِ عَـادَتْ لِلعِـدَا بِيَعًـا وَلِلنِّـــداءِ غَـــدَا أَثْنَاءَهَـــا جَرَسَـــا

لَهفِـي عَلَيْهَـا إِلَـى اسْـتِرْجَاعِ فَائِتِهَـا مَدَارِسَـاً لِلْمَثَـانِي أَصْـبَحَتْ دُرُسَـا

يستعمل الشاعر النداء التحسري لبيان عمق المفارقة وشدة التحول الذي طرأ على المكان الأندلسي، والذي طال كل شيء حتى أماكن العبادة، فتحولت معه المساجد إلى معابد وكنائس للنصارى[37]، أما صوت الأذان الذي كانت تعج به المساجد في الأندلس أوقات الصلوات فقد بُدِّل بالأجراس التي يُنادى بها لصلاة النصارى. وفي هذا عمق المفارقة ومنتهى التضاد؛ إذ لم يقتصر الأمر على منع الأذان الذي يُعد صوتًا دينيًا إسلاميًا، بل وصل بهم إلى استبدال أصوات أجراس النصارى بصوت الأذان.

إن نظرة تأملية في هذا الحال المأساوي الذي وصل إليه المكان الأندلسي كفيلة ببعث الشوق واللهفة في نفس الشاعر والتطلّع إلى المنقذ لهذه البلدان الأندلسية من براثن الأعداء، وإرجاعها إلى أحضان الإسلام والمسلمين. ويتسع الخرق عندما تمتد التحولات المكانية لتطال مدارس القرآن، التي تحولت تحولاً مفارقياً إلى أطلال دارسة بالية، وتُنتج المفارقة من التناقض الشديد بين حال المدرسة التي تُعد رمزاً للخصب والنماء المعرفي والذهني، لا سيما وأنها مدرسة قرآن كريم، الأمر الذي يعني اطمئنان مرتاديها وسكينة نفوسهم فيها، وبين حال الأطلال والديار البالية المندثرة التي تنقل صورة عن الخراب والدمار، فتستوحش فيها النفوس، وتشمئز منها القلوب.

ويطالعنا بمثل هذا المعنى في قصيدة أخرى يصور فيها الحال المأساوي للأندلس، ويرثي مدينته بلنسية، وكانت المفارقة اللفظية حاضرة بوصفها أسلوباً يعبّر عن حجم الفاجعة التي حلّت بالأندلس عامة، وببلنسية ومقدساتها خاصة، يقول[38]:

[الكامل]

بِـــأبِي مَـــدارِسُ كَـــالطُّلول دَوَارِسٌ نَسَـخَتْ نَـوَاقِيسُ الصَّـلِيب نِـدَاءَهَا

وتتوالى في هذا البيت المفارقات التحولية المكانية فالمدارس رمز الخصب والعطاء أصبحت أطلالاً بالية مندثرة، وتحولت المساجد إلى كنائس، فحلت الأجراس محل الأذان.

وفي هذا البيت جناس بين لفظتي (مدارس، ودوارس) وهو جناس مفارقي، فلفظة مدارس توحي بالعطاء الخصب والنماء المعرفي، ومنبع للعلم، وأنس للنفوس لا سيما وهي مدارس يُدرس فيها القرآن الكريم الذي تأنس به النفوس، وتطمئن إليه القلوب، أما لفظة (دوارس) فتدل على الخراب والدمار، وترمز للجدب، ولذلك تبعث على الوحشة والاشمئزاز في النفوس.

كذلك بين هاتين اللفظتين (مدارس، دوارس) طباق لا يكشف عن نفسه مباشرة، إنه طباق غير مألوف، يُستشف من المعنى. وهكذا تكون المفارقة اللفظية "ذكاءً متميّزًا في استعمال اللغة لتحقيق علاقات ذهنية تتجاوز المعنى الظاهر وتلمّح في الوقت نفسه بالمعنى الكامن الذي يشد القارئ بعلاقة التضاد بينه وبين المعنى الأول"[39].

النتائج:

- وظف ابن الأبّار البلنسي في خطابه الشعري أسلوب المفارقة نتيجة لما تعرّضت له بلده بلنسية من نكبات محت صورتها الجميلة، وغيّرت تركيبتها السكانية، وحولت معالمها الدينية.
- جاءت شعرية المفارقة المكانية في نصوص ابن الأبّار متكئة على بنية التضاد، والصورة، والإيقاع، وهي أدوات فنية أسهمت في إبراز صورة المكان في تناقضاته ومفارقاته.
- كشفت المفارقة المكانية عن حال مأساوي أصاب البلد والإنسان عند حصار بلنسية ثم سقوطها في يد النصارى.
- أبانت مفارقة التحوّل المكاني عن مفارقات حادّة، طالت المكان البلنسي في قدسيته، وهيئته، وجماله، ومكانته.
- أطال الشاعر الوقوف عند التحول في المكان الديني ليؤكد أن هذه التحولات قد تعدّت المكان بصفته الحسية إلى رمزيته الدينية.
- أفصحت المفارقة المكانية عن تناقض صارخ وتضاد حادّ بين تطلعات الشاعر وآماله، والواقع المرير الذي يعيشه.
- جمع ابن الأبّار في نصوصه الشعرية بين صورتين متناقضتين للمكان: صورة حسية ظهر فيها المكان بالمتهالك نتيجة ما عاث فيه الأعداء من خراب ودمار، وأخرى معنوية وذهنية تعجّ بالخصب والحياة. بل وجد الشاعر نفسه في حال متناقض مع مدينته التي فارقها مُرغمًا، شوقًا إليها ونفورًا منها، حُبًّا لها يعكّره بغض محتليها.

الهوامش:

(1) أكبر مدن شرقي الأندلس، على البحر الأبيض المتوسط، وأعظم مرافئ الأندلس الإسلامي، وصفها الحجاري في كتابه (المسهب) فقال: "مطيب الأندلس، ومطمح الأعين والأنفس، خصها الله بأحسن مكان، وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا مياهًا تتفرع، ولا تسمع إلا أطيارًا تسجع، ولا تستنشق إلا أزهارًا تنفح، وما أجلت لحظك في شيء إلا قلت هذا أملح" وتميزت بودياتها المثمرة، وخيرها الوفير، ونظمها الدقيق في الزرع والإرواء، كانت مهبط كثير من الأسر العربية العريقة، ومنتدى لجمع من الكتاب والأدباء والشعراء، كابن الأبّار وابم خفاجة وابن الزقّاق. يُنظر: مكي، الطاهر أحمد، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة: 250.

(2) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، أبو عبد الله، ابن الأبّار (595 – 658 هـ = 1199 – 1260 م): من أعيان المؤرخين، أديب. من أهل بلنسية (بالأندلس) ومولده بها. رحل عنها لما احتلها الإفرنج، واستقر بتونس فقرّبه صاحبها السلطان أبو زكريا، وولاه كتابة (علامته) في صدور الرسائل، مدة، ثم صرفه عنها، وأعاده. ومات ابو زكريا وخلفه ابنه المستنصر، فرفع هذا مكانته، ثم علم المستنصر أن ابن الأبار كان يزري عليه في مجالسه، وعزيت إليه أبيات في هجائه، فأمر به فقتل (قعصا بالرماح) في تونس. من كتبه (التكملة لكتاب الصلة) في تراجم علماء الأندلس، و(المعجم) في التراجم، و (الحلة السيراء) في تاريخ أمراء المغرب، و (إعتاب الكتاب) في أخبار المنشئين، و (إيماض البرق في أدباء الشرق) و (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة) و (تحفة القادم). وله شعر رقيق. يُنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت: 1396هـ)، الأعلام: 233/6.

(3) إبراهيم، نبيلة، المفارقة: 132.

(4) البريسم، قاسم، المفارقة في شعر عدنان الصائغ (ديوان صرخة بحجم الوطن نموذجاً)، بحث منشور على الإنترنت: http://www.adnanalsayegh.com/ara/index.asp

(5) خضير، عبد الهادي، المفارقة في شعر المتنبي: 61. نقلاً عن: رتشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي: 321.

(6) يُنظر: باصريح، عمر، شعرية المفارقة قراءة في منجز البردوني الشعري: 37.

(7) ميويك، دي سي، المفارقة وصفاتها: 147.

(8) يُنظر: الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية (دراسة في ديوان أمل دنقل: 23. نقلاً عن: باصريح، عمر، شعرية المفارقة قراءة في منجز البردوني الشعري: 73.

(9) وردت هاتان التسميتان عند ياكوبسن، يُنظر: ياكوبسن، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: الولي، محمد، وحنون، مبارك: 83.

(10) يُنظر: أبو ديب، كمال، في الشعرية: 45.

(11) ورد هذا المفهوم عند (ياوس). يُنظر: هول، روبرت سي، نظرية الاستقبال (مقدمة نقدية)، ترجمة: عبد الجليل، رعد: 76 وما بعدها.

وقد سمى ياوس تصادم أفق التوقع للقارئ مع أفق النص (بالمسافة الجمالية).

(12) يُنظر: سليمان، خالد، المفارقة والأدب (دراسة في النظرية والتطبيق): 14.

(13) ميويك، دي سي، المفارقة وصفاتها: 129.

(14) يُنظر: ميويك، دي سي، المفارقة وصفاتها: 131.

(15) يُنظر: جمعة، سعيد أحمد، المفارقة في اللسان العربي، بحث منشور على الانترنت: http://alfaseeh.com/shwthread

(16) جاسم، علي متعب، وتوفيق، منى شفيق، فاعلية المكان في الصورة الشعرية (سيفيات المتنبي أنموذجاً): 3.

(17) الديوب، سمر، الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم: 52.

(18) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 408.

(19) باوزير، خالد عمر، الفاعلية الإيقاعية في شعر الاستصراخ الأندلسي (سينية ابن الأبّار نموذجًا): 388.
(20) يُنظر: البدوي، آمنة سليمان، الخطاب الاجتماعي في شعر حصار بلنسية وسقوطها: 358، 359.
(21) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 408، 409.
(22) يُنظر: باوزير، خالد عمر، الفاعلية الإيقاعية في شعر الاستصراخ الأندلسي (سينية ابن الأبّار نموذجًا): 388.
(23) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 409. عسا: يبس وجف، الدَّبى: الجراد قبل أن يطير. البزّة: الهيئة والشارة واللبسة، تحيَّف الشيء: نَقَّصه وأخذ من جوانبه. خنسا: الخنوس الانقباض والاستخفاء.
(24) المنصوري، أحمد مقبل، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف: 131.
(25) رضوان، عبد الله، البنى الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي: 192.
(26) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 36. الشؤون جمع شأن: مجرى الدمع.
(27) ميويك، دي سي، المفارقة وصفاتها: 35.
(28) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 413.
(29) يُنظر: طحطح، فاطمة، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: 258، 259.
(30) يُنظر: باحشوان، سلمى محمد، المكان في شعر طاهر زمخشري: 41.
(31) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 336.
(32) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 336، 337.
(33) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 337.
(34) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 140.
(35) يقصد بالمنصور: القائد المجاهد محمد بن أبي عامر المعافري، الذي خاض سبعًا وخمسين معركة ضد النصارى لم تهزم له فيها راية، أما السفاح فهو ملك النصارى الأرغوانيين.
(36) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 409.
(37) لعل أبرز هذه المساجد جامع قرطبة الذي تحول إلى كنيسة وهي قائمة إلى اليوم.
(38) ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان: 36.
(39) خضير، عبد الهادي، المفارقة في شعر المتنبي: 61.

المصادر والمراجع:

الكتب:

- ابن الأبّار، محمد بن الأبار القُضاعي (ت 658هـ)، الديوان، تعليق: الهرّاس، عبد السلام، مطبعة فضالة، المغرب، 1999م.
- أبو ديب، كمال، في الشعرية، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1987م
- باصريح، عمر، شعرية المفارقة قراءة في منجز البردوني الشعري، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، 2016م.
- رتشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري، القاهرة، 1963م.
- الديوب، سمر، الثنائيات الضدية (دراسات في الشعر العربي القديم)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م.
- رضوان، عبد الله، البنى الشعرية دراسات تطبيقية في الشعر العربي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2005م.
- الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية (دراسة في ديوان أمل دنقل)، المركز القومي للنشر، إربد، الأردن، 1999م.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت: 1396هـ)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- سليمان، خالد، المفارقة والأدب (دراسة في النظرية والتطبيق)، ط1، دار الشروق، عمّان، 1999م.
- طحطح، فاطمة، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993م.
- مكي، الطاهر أحمد، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف – القاهرة، 1987م.
- المنصوري، أحمد مقبل، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء، 2004م.
- ميويك، دي سي، المفارقة وصفاتها، ترجمة: لؤلؤة، عبد الواحد، (موسوعة المصطلح النقدي 4)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م.
- هول، روبرت سي، نظرية الاستقبال (مقدمة نقدية)، ترجمة: عبد الجليل، رعد، ط1، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 1992م.
- ياكوبسن، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: الولي، محمد، وحنون، مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988م.

الرسائل والدوريات:

- إبراهيم، نبيلة، المفارقة، مجلة فصول، الصادرة عن الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، مج (7) ع (3،4)، ابريل – سبتمبر، 1987م.
- البدوي، آمنة سليمان، الخطاب الاجتماعي في شعر حصار بلنسية وسقوطها، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج(39)، ع(2)، 2012م.
- باوزير، خالد عمر، الفاعلية الإيقاعية في شعر الاستصراخ الأندلسي (سينية ابن الأبّار نموذجًا)، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية – اليمن، مج (9)، ع (2) 2012م.
- باحشوان، سلمى محمد، المكان في شعر طاهر زمخشري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2008م.
- جاسم، علي متعب، وتوفيق، منى شفيق، فاعلية المكان في الصورة الشعرية (سيفيات المتنبي أنموذجاً)، مجلة ديالى، 2009م.
- خضير، عبد الهادي، المفارقة في شعر المتنبي، مجلة المورد، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، الأعظمية – العراق، مج(35)، ع(1)، 2008م.

الانترنت:

- البريسم، قاسم، المفارقة في شعر عدنان الصائغ (ديوان صرخة بحجم الوطن نموذجاً)، بحث منشور على الإنترنت: http://www.adnanalsayegh.com/ara/index.asp
- جمعة، سعيد أحمد، المفارقة في اللسان العربي، بحث منشور على الانترنت: .http://alfaseeh.com/shwthread